قال الحارث بن همام فقلت له اقسم بمن انبت الايك ان الجد اهنك واليك فاغرب
في الضحك وطرب طرب المنهمك ثم قال العق العسل ولا تسل فاخذت اسهب في مدح
الادب وافضل ربه على ذوي النشب وهو ينظر الي نظر المستجهل ويغضي عني اغضاء
المتمهل فلما افرطت قال صه واسمع مني وافقه

يقولون ان جمال الفتى وزينته ادب راسخ وما ان يزين سوى المكثر ومن طود سودده شامخ
فاما الفقير فخير له من الادب القرص والكامخ واي جمال له ان يقال اديب يعلم او ناسخ

ثم قال سيضح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي وبرزنا لا نالو جهدا ولا نستفيق
جهدا حتى اذا دانا السير الى قرية غرب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا منفض
من الزاد فما ان بلغنا المحط والمناخ المختط او لقينا غلاما لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه
ضغث فحياه ابو زيد تحية المسلم وساله وقفة المتفهم فقال وعم تسل وفقك الله
فقال البايع ها هنا الرطب بالخطب قال لا والله قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال

ولا الثمر بالسمر قال هيهات والله قال ولا العصيدة بالقصيدة قال اسكت عافاك
الله قال ولا الثرايد بالفرائد قال اين يذهب بك ارشدك الله قال ولا الدقيق
بالمعنى الدقيق قال اعترض هذا اصلحك الله واستحلى ابو زيد تراجع السؤال
والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام ان الشوط بطين والشيخ سيبطئ
فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك واستبنت انك تحز الجواب صبرة
ولتقف به خبرة اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص
بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكمة لقمن بلقمة ولا اخبار الملاحم بلحمة
واما جيل هذا الزمان فما منهم من يميح اذا صيغ له المديح ولا من يجيز اذا انشد
الاراجيز ولا من يغيث اذا اطربه الحديث ولا من يمير ولو انه امير وعندهم
ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم تجد الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا دانته
بهيمة وكذى الاديب ان لم يعضده نشب فدرسه نصب وحرفته حصب ثم انسرد

بعد ما ولّى بعد ما ولوا فقال لي ابو زيد اعلمتَ انّ الادوب قد باد وولّت انصار الادباء

فثبوت له بحسن البصيرة وسلّمت بحكم الضرورة فقال دع الألف من المصاع

وخض في حديث القصاع واعلم انّ الاسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما

يمسك الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال اري ان ترهن

سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه واقم لا تنقلب اليك بما تلتقم فاحسنت

به الظن وقلدته السيف للرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة

فمكثت مليًّا اترقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيّع اللبن في الصيف ولا الناقة

ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم

يعني تنورتها قصدتها

على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم و

غيمها مركوم وانا فيها اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم ازل انص عنسي واقول

هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد

والى هذا اشار ابن الرومي

ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح

ما ذاك الا انها شمس ...

مرتجزاً

طوبى لك ولنفسي الآن تبصر الموقد الحي وتبيت أرقاني فأخبر ربعه والحجري وينشد

حُيّيتَ من خابطِ ليلٍ سارِ هداه بل أهداه ضوءُ النارِ إلى رحيبِ الباعِ رحبِ الدارِ

مرحّبٍ بالطارقِ المعتارِ ترحابَ جعدِ الكفِّ بالدينارِ ليس بمزورٍ عن الزوارِ

ولا بجعتامِ القرى مهذارِ إذا اقشعرّت تربُ الأقطارِ وضنّت الأنواءُ بالأمطارِ

فهو على بؤسِ الزمانِ الضاري حمُّ الرمادِ مرهفُ الشفارِ لم يخلُ في ليلٍ ولا نهارِ

من نحرِ وارٍ واقتداحِ وارِ ثم تلقاني بمحيّا حييٍّ وصافحني براحةِ أريحيٍّ

أي الجمل المكتنز شحما الكثير لحما

واقتادني إلى بيتٍ عشاره تخور وأعشاره تفور وولائده تمور وموائده تدور

النوق الحوامل — البرمة وهي قدر من حجر

وبأكساره أضيافٌ قد جلبهم جالبي وقُلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهةَ الشتاء

ويمرحون مرحَ ذوي الفتاء فأخذتُ مأخذَهم في الاصطلاء ووجدتُ بهم وجدَ

النمل بالطلاء ولمّا آن سري للحصر وانسري للخصر أُتينا بموائدَ كالهالاتِ دوراً و

يعني دارة القمر ودارة الشمس

الروضاتِ نوراً وقد شُحنّ بأطعمةِ الولائمِ وحُمينَ من العائبِ واللائمِ فرفعنا

يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرماث

النار فاكهة الشتاء ومن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل

أكل الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل فاكل

وسمي الطفاوة

ما قيل في البطنة ورأينا الامعات فيها من الفطنة حتى اذا أكلنا بصاع الحطم

واشفينا على خطر التخم تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوانا مقاعد السمر واخذ

يعني المنديل يقال مشربده بالمنديل اذا مسحها

كل منا يشول بلسانه وينثر ما في صوانه ما عدا شيخا مشتهبا فوداه تحلو لنا

اي صار من الشيب في لون الاشهب

برداه فانه ربض حجرة واوسعنا هجرة فعاطنا تجنبه الملتبس موجبه

اي ناحية ويقال في المثل لمن يشارك ويجانب عند البلاء يرتع

المعزوز فيه مؤنبه الا انا النالة القول وحشينا في المسلة العول وكلما رمنا

ان يفيض كما فضنا او يفيض فيما افضنا اعرض اعراض العليه عن الارذلين وتلا

ان هذا الا اساطير الاولين ثم تمات للحية هاجته والنفس الابية ناجته فدلف

وازدلف وخلع الصلف وبذ الذي يتلا في ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع

كالسيل الهامر وقال

عندي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكنوني ابا العجب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسماء الخمرة

رأيت يا قوم اقواما غذاؤهم بول العجوز وما عني ابنة العنب

الخرقة القطعة من الجراد

ومسنتين من الاعراب قوتهم ان يشتووا خرقة تغني من السغب

الجوع

يتخذوا شواء

يقال اشتوى القوم اي اتخذ شواء

المجدبين يقال اسنت القوم اذا اصابهم السنت وهو القحط

وكانتين

قول امرئ القيس شعر

نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وكاتبين وما خطت انا ملهم   حرفا ولا قرؤا ما خط في الكتب

الكاتبون الخرازون يقال كتب السقا والمزادة اذا خرزها وكتب البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها وخاطها

وتابعين عقابا في مسيرهم   على تكبهم في البيض والبلب

العقاب الراية وكانت راية النبي تسمى العقاب والبلب ما كان من جنن الجلود ولم يكن من

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم   نبيلة فانثنوا منها الى الهرب

جالسين في الندوة   الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات واروح

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد   حجت جثيا بلا شك على الركب

معنى حجت يعني غلبت بالحجة يجادلين   جاثين على الركب وجثي جمع جاث

ونسوة بينما ادلجن من حلب   صبحن كاظمة من غير ما تعب

صبحن اي سقين الصبوح يقال صبحه وصبحه اي سقاه الصبوح صبحن كاظمة اي سقين الصبوح

ومدلجين سروا من ارض كاظمة   واصبحوا حين لاح الصبح في حلب

اي اصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما ساء صنعهم   وقصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ والقدير المطبوخ في القدر

ويافعا لم يلامس قط غانية   شاهدته وله نسل من العقب

النسل هاهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب موخر القدم

وشائبا مستهينا للشيب بدا   في البدو وهو فتي السن لم يشب

الشائب هاهنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج يقال منه مشوب ومشيب

ومرضعا بلبان لم يفه فمه   رايته في شجار بين السبب

الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فان ظللت فهي الهودج والشجار المشاجرة

وزارعا ذرة حتى اذا حصدت   صارت غبيراء يهواها اخو الطرب

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيرا فانها خمر العالم وتسمى ايضا السكركة

كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ
يقال كظم فلان غيظه اذا تجرعه وهو
قادر على الايقاع بعدوه فامسك ولم يعاقبه
ومنه يقال كظم خصمه اذا اجابه بالسكت
فافحمه واصل الكظم للبعير وهو ان يرد
فلم يجتز وكاظمة موضع على سيف البحر
على مرحلتين وفيها ركايا كثيرة وماؤها

اليافع الصبي المرتفع الغانية المستغنية
بزوجها عن غيره وقيل التي غنيت بحسنها
عن التزيين

السبب هاهنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد
بسبب الى السماء
الغبيراء نوع من الفاكهة وهو ايضا نوع من الشراب
يسكر ويقال له السكركة يتخذها
الحبش من الذرة

وَرَاكِضًا وَهُوَ مَغْلُولٌ عَلَى فَرَسٍ ... قَدْ غَلَّ أَيْضًا وَمَا يَنْفَكُّ مِنْ خَبَبِ

المغلول هاهنا العطشان وغلّ اى عطش

وَذَا يَدٍ طَلْقٍ يَقْتَادُ رَاحِلَةً ... مُسْتَعْجِلًا وَهُوَ مَأْسُورٌ أَخُو كُرَبِ

الماسور الذى يجد الاسر وهو احتباس البول

وَجَالِسًا مَاشِيًا تَهْوِي مَطِيَّتُهُ ... بِهِ وَمَا فِي الَّذِي أَوْرَدْتُ مِنْ رِيَبِ

الجالس الاتى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسّر بعضهم قوله تعى ان امشوا

وَحَائِكًا أَجْذَمَ الْكَفَّيْنِ ذَا خَرَسٍ ... فَإِنْ عَجِبْتُمْ فَكَمْ فِي الْخَلْقِ مِنْ عَجَبِ

الحايك هاهنا الذى اذا مشى حرّك منكبيه وفحج بين ركبتيه

وَذَا شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ قَامَتُهُ ... صَادَفْتُهُ يَعْنِي يَشْكُو مِنَ الْحَدَبِ

الحدب ما ارتفع من الارض وسميت منى لما يمنى فيها من الدم اى يصبّ

وَسَاعِيًا فِي مَسَرَّاتِ الْأَنَامِ يَرَى ... إِفْرَاحَهُمْ مَأْثَمًا كَالظُّلْمِ وَالْكَذِبِ

افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله لا يترك فى الاسلام مفرح اى مثقل

وَمُغْرَمًا بِمُنَاجَاةِ الرِّجَالِ لَهُ ... وَمَا لَهُ فِي حَدِيثِ الْخَلْقِ مِنْ أَرَبِ

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله تعى ان هذا الا خلق الاولين

وَذَا ذِمَامٍ وَفَتْ بِالْعَهْدِ ذِمَّتُهُ ... وَلَا ذِمَامَ لَهُ فِي مَذْهَبِ الْعَرَبِ

الذمام الاول العهد والثانى جمع ذمّة وهو البير القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك اى

وَذَا قُوًى مَا اسْتَبَانَتْ قَطُّ لِينَتُهُ ... وَلِينُهُ مُسْتَبِينٌ غَيْرُ مُحْتَجِبِ

اللين النخل الدقل ومنه قوله تعى ما قطعتم من لينة

وَسَاجِدًا فَوْقَ فَحْلٍ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... بِمَا أَتَى بَلْ يَرَاهُ أَفْضَلَ الْقُرَبِ

الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وَعَاذِرًا مُولِمًا مَنْ ظَلَّ يَعْذِرُهُ ... مَعَ التَّلَطُّفِ وَالْمَعْذُورُ فِي صَخَبِ

الشطاط اعتدال القامة الحدب خروج الظهر ودخول الصدر والبطن

الخاتن المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف … والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضا البلجة

وقرية دون افحوص القطا شحنت … بدائم عيشهم من خلسة المستلب

بيت النمل الافحوص مثل حفيرة يفحصها القطا النمل ما يختلس ويستلب

وكوكبا يتوارى عند رؤيته … الانسان حتى يرى في امنع الحجب

الكوكب البياض الذي يحدث في العين والانسان هاهنا انسان العين

وروثة قومت ما اله خطر … ونفس صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الانف اي له قدر ومنزلة

وصحفة من نضار خالص شربت … بغير كاس بقيراط من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع ومنه قيل الاباء بان يشرب في قدح النضار عنى به هذا

ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما … اظله من اعاديه فلم يخب

استجاش اي طلب الجيش الخشخاش جماعة عليهم دروع واسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه … ثور وكيته ثور بلا غبب

الثور القطعة من الاقط

وكم راى ناظري فيلا على جمل … وقد تورك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفايل الراى تورك على الدابة اي ثنى رجله ووضع احدى وركيه في

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا … وما اشتكى قط في جد ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة البيد جمع بيداء وهي المفازة

وكنت ابصرت كرازا لراعية … بالدو ينظر من عينين كالشهب

الكراز كبش يحمل عليه الراعي اداته والدو برية تدور فيها الريح والدو المفازة ايضا

وعاينت مقلتي عينين ماؤها … يجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب هاهنا مجرى الدمع والعينان المقلتان وحلب البلدة المعروفة

المنسرب الداخل في سربه

الشكب الجار وشجر معروف باليمن تعمل منه الحبال والسلب المسلوب

الصحفة القصعة النضار الذهب الخالص

الشرج ايضا كوكب يدعى فنيق الدب والكراز هو

العرض الناحية

وَصَادِعًا بِالْقَنَا مِنْ غَيْرِ اَنْ عَلِقَتْ   كَفَّاهُ يَوْمًا بِرُمْحٍ لَا وَلَمْ يَثِبِ

القنا ارتفاع الانف وتحدب وسطه وصدع به اى كشفه

وَكَمْ نَزَلْتُ بِاَرْضٍ لَا نَخِيلَ بِهَا   وَبَعْدَ يَوْمٍ رَاَيْتُ الْبُسْرَ فِي الْقُلُبِ

البسر جمع بسره وهى الما الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وَكَمْ رَاَيْتُ بِاَقْطَارِ الْفَلَا طَبَقًا   يَطِيرُ فِي الْجَوِّ مُنْصَبًّا اِلَى الصَّبَبِ

الطبق القطعة من الجراد . الفلا جمع فلاة وهى المفازة . منصب اى مايل الصبب

وَكَمْ مَشَايِخَ فِي الدُّنْيَا رَاَيْتُهُمُ   مُخَلَّدِينَ وَمَنْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

المخلد الذى ابطا شيبه

وَكَمْ بَدَا لِي وَحْشٌ يَشْتَكِي سَغَبًا   بِمَنْطِقٍ ذَلِقٍ اَمْضَى مِنَ الْقُضُبِ

الوحش الرجل الجايع . لسان ذلق اى فصيح . القضب جمع قاضب وهو سيف قاطع

وَكَمْ دَعَانِي يَسْتَجْدِي فَعَادَ ثَنِي   وَمَا اَخَلَّ وَلَا اَخْلَلْتُ فِي الْاَدَبِ

المستنجى الجالس على نجوة وهى المكان المرتفع الذى تظن انه نجا وكى

وَكَمْ اَغَثْتُ قَلُوصًا تَحْتَ جُنْبُذَةٍ   تُظِلُّ مَا شِئْتَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عُرُبِ

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهى المراة المتحببة الى زوجها

وَكَمْ نَظَرْتُ اِلَى مَنْ سُرَّ سَاعَتَهُ   وَدَمْعُهُ مُسْتَهِلُّ الْقَطْرِ كَالسُّحُبِ

سر اى قطع سرره وسرته ويسمى ماتبقى بعد القطع السرة . مستهل اى منصب

وَكَمْ رَاَيْتُ قَمِيصًا ضَرَّ صَاحِبَهُ   حَتَّى اَنْثَنَى وَاهِيَ الْاَعْضَاءِ وَالْعَصَبِ

القميص الدابة الكثيرة القماص . القماص النفار والشماس وسو الخلق

وَكَمْ اِزَارٍ لَوَاتِ الدَّهْرِ اَتْلَفَهُ   لَجَفَّ لِبْدٍ حَثِيثِ السَّيْرِ مُضْطَرِبِ

الازار المراة ومنه قول الشاعر فدى لك من اخى ثقة ازارى وقيل عنى به نفسه

هَذَا وَكَمْ مِنْ اَفَانِينٍ مُعْجَبَةٍ   عِنْدِي وَمِنْ مُلَحٍ تُلْهِي وَمِنْ نُخَبِ

البسر التمر قبل ان يرطب

الصبب ما انحدر من الارض

فان

فَاِنْ فَطِنْتُمْ لِلَحْنِ الْقَوْلِ بَانَ لَكُمْ ... صِدْقِي وَوُدُّكُمْ طَلِّي عَلَى رُطَبِ

وَاِنْ شُدِهْتُمْ فَاِنَّ الْعَارَ فِيهِ عَلَى ... مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْخَشَبِ

قَالَ الْحٰرِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَطَفِقْنَا نَخْبِطُ فِي تَقْلِيبِ قَرِيضِهِ وَتَأْوِيلِ مَعَارِيضِهِ وَهُوَ يَلْهُو بِنَا لَهْوَ الْخَلِيِّ بِالشَّجِيِّ وَيَقُولُ الْيُسْرُ بَعْدَ عُسْرٍ فَلَا تَرْجُ اِلَى اَنْ تَعَسَّرَ النِّتَاجُ وَاسْتَحْكَمَ الْاِرْتِتَاجُ

هذا المثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي

فَاَلْقَيْنَا اِلَيْهِ الْمَقَادَةَ وَخَطَبْنَا مِنْهُ الْاِفَادَةَ فَوَقَفْنَا بَيْنَ الطَّمَعِ وَالْيَاْسِ وَقَالَ الْاِيْنَاسُ قَبْلَ الْاِبْسَاسِ فَعَلِمْنَا اَنَّهُ مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي الشُّكْمِ وَيَرْتَشِي فِي الْحُكْمِ وَسَاءَ اِيَابًا مَثْوَانَا

هذا مثل ومعناه ان يونس الانسان ثم يكلف — الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة

اَنْ نَعْرِضَ لِلْغُرْمِ اَوْ نَخِيبَ بِالرَّغْمِ فَاَحْضَرْنَا نَاقَةً عَيْرِيَّةً وَحُلَّةً سَعِيدِيَّةً وَقُلْنَا لَهُ

خُذْهُمَا حَلَالًا وَلَا تَرْزَاءُ اَضْيَافِي زِبَالًا فَقَالَ اَشْهَدُ اَنَّهَا شِنْشِنَةٌ اَخْزَمِيَّةٌ وَاَرْيَحِيَّةٌ

الزبال ما تحمله النملة في فمها

حَاتِمِيَّةٌ ثُمَّ قَابَلَنَا بِوَجْهٍ بِشْرُهُ يَشِفُّ وَنَضْرَتُهُ تَرِفُّ وَقَالَ يَا قَوْمِ اِنَّ اللَّيْلَ قَدْ

اَجْلَوَّذَ وَالنُّعَاسَ قَدِ اسْتَحْوَذَ فَافْزَعُوا اِلَى الْمَرَاقِدِ وَاغْتَنِمُوا رَاحَةَ الرَّاقِدِ لِتَشْرَبُوا نَشَاطًا

اي اسرع في الذهاب ومثله اخروط

وَتُبْعَثُوا نَشَاطًا فَتَعُوا مَا اَفْسُرُ وَيَتَسَهَّلَ لَكُمُ الْمُتَعَسِّرُ فَاسْتَصْوَبَ كُلٌّ مَا رَآهُ وَتَوَسَّدَ وِسَادَةً

فإذا أعطيت ميسرًا فهو الشكر ثار الاراضي شكر
يشكو عنيد وكل الكراديس للخير والشر فقاع عندي

كراه فلما وسنت الاجفان واغفت الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها وخلّفنا
وقال مخاطبا لها

روّحي يا ناق فسيري وخذي ... وادّلجي واوّبي واسئدي

الادلاج ان يسير الليل كله والاسئاد

حتى تطا خفاك مرماها الذي ... تشتهي حينئذٍ وتسعدي

وتأمني ان تتهمي وتنجدي ... إيه فدتك النفس جدّي واجهدي

وافري اديم فدفدٍ ففدفدِ ... واقتنعي بالنشح عند المورد

والنشح ان يشرب دون الري

ولا تخطي دون ذاك المقصد ... فقد حلفت حلفة المجتهد

بحرمة البيت الرفيع العمد ... انّك ان احللتني في بلدي

حللت منّي بمحلّ الولدِ قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع واذا ملا الصاع
انصاع ولما ابلج صباح اليوم وهبّ النوّام من النوم اعلمتهم ان الشيخ حين
اغشاهم السبات طلّقهم البتات وركب الناقة وفات فاخذهم من الغمّ ما قدم وما

قوله ما قدم وما حدث يقال لمن يستولي عليه

حدث ونسوا ما طاب منه بما خبث ثم انشعبنا في كل متشعب وذهبنا تحت كل كوكب

والتأويب سير النهار وحده والاسئاد ان يسير ليلا ونهارا

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحرث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب ان السفر مرآة الاعاجيب
فلم ازل اجوب كل تنوفة واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل اطروفة فمن احسن ما لمحته
واغرب ما استلمحته اني حضرت قاضي الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد
ترافع اليه بال في بال وذات جمال واسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة
من الافصاح وخسأته عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وانشدت بلسان السليطة الوقاح
يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمرة اليك اشكو جور بعلي الذي لم يحج البيت سوى مره
وليته لما قضى نسكه وخفف ظهرا لاذى الجمره كان على راي ابي يوسف في صلة الحجة بالعمره
هذا على اني منذ ضمني البيت احصي له امره فمره اما الفة حلوة ترضي واما فرقة مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ او مره فقال له القاضي قد سمعت ما
عزته اليه وتوعدتك عليه فجانب عاره وحاذر ان تعرى وتعرى فجثا الشيخ على

ثفناته وفجر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما رابها عذره والله ما اعرضت عنها قلى
ولا هوى قلبي قضى نذره وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدرة والذره
فمنزلي قفر كما جيدها عطل من الجزعة والشذره وكنت من قبل ارى في الهوى
ودينه راي بني عذره فمذ نبا الدهر هجرت الدمى هجران عف اخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن اتقي بذره فلا تلم من هذه حاله
واعطف عليه واحتمل هذره قال فالتظت المراة من مقاله وانتضت للجدال
وقالت له ويلك يا مرقعان يا من هو لا طعام ولا طعان اتضيق بالولد
ذرعا ولكل اكولة مرعى لقد صدق تمهك واخطا سهمك وسفهت نفسك وشقيت
بك عرسك فقال لها القاضي اما انت فلو جادلت الخنساء لانثنت عنك بخرساء
واما هو فان كان صدق في زعمه ودعوى عدمه فله في هم قبقبه ما يشغله عن ذبذبه
فاطرقت المراة تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا حتى قلنا قد راجعها الخفر او حاق بها

الحصر

الظفر فقال لها الشيخ تعساً لك أتزخرفين أو تكتمين ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد
المنافرة كتم أو يتولى على برح ختم وما فينا إلا من صدق وهتك بصونه إذ نطق
فليتنا لاقينا البكم ولم نلق الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل
القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ويلوم لهما الدهر ويؤنب ثم أحضر من الورق ألفين
وقال ارضيا بها الأجوفين وعاصيا التنازع بين الإلفين فشكراه على حسن الرضاخ وانطلقا
وهما كالماء والراح وطفق القاضي بعد مسرحهما وتنائي شبحهما يثني على أدبهما ويقول هل
من عارف بهما فقال له أحد أعوانه وخالصة خلصانه أما الشيخ فالسروجي المشهود
بفضله وأما المرأة فقعيدة رحله وأما تحاكمهما فمكيدة من فعله وأحبولة من حبائل ختله
فاحفظ القاضي ما سمع وتلهب غيظه كيف خدع ثم قال ائتني بهما فقم فردهما ثم اقتصد
وصدرها فانهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضي أظهرنا على
ما نبثت ولا تخف ما استخبثت فقال ما زلت أستقري الطرق وأستفتح الغلق والحلق

هما

ادركتهما مصحرين وقد زفا معطي البنت فرقتهما في العدل وكفلت لهما بنيل الآمر فاشرب

قلب الشيخ ان ييأس وقال الفرار بقراب اكيس وقالت هي بل العود احمد والفرقة بيد

فلما تبين الشيخ سفه رأيها وغرر اجترائها امسك ريثما لاذ لها ثم انشا يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سبله واغني عن التفصيل بالجمله طيري فتي نفرت من نخله وطلقيها بتة

بتّه

وحاذري العود اليها ولو سبتك بها ناظورها الابله فخير ما بالصبر الا ترى ببقعة فيها له علّه

ثم قال الفتاة قد هنيت فيما وليت فارجعي من حيث جئت وقل لرسلك ان شئت

رويدك لا تعقب جميلك بالاذى فتضحي وشمل البال والحمد منصدع ولا تتغضب من تزيد سائل

فما هو في صوغ اللسان بمبتدع وان تك قد ساءتك مني خديعة فقبلك شيخ الاشعريين

قد خدع

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شجونه واملح فنونه ثم انه اصحب رائده بردين

وصرّة من العين وقال سر سير من لا يرى الالتفات الى ان ترى الشيخ والفتاة قبل بدرهما بهذا الحباء

وبيّن لهما انخداعي للادباء قال الراوي فلم ار في الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال

وجاب

المقامة

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حدث الحرث بن همام قال نزع بي الى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت

يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير وخففت نحوها خفوف ف

الطير ولم ازل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها افلي الايام فيما يشفي الغرام ويروي

الاوام الى ان اقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فاغراني البال الخلو

والمرح الحلو بان اقصد حمص لاصطاف ببقعتها واسبر رقاعة اهل رقعتها فاسرعت اليها

اسراع النجم اذا انقض للرجم فلما خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخاً قد اقبل

هريره وادبر غريره وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فسعيت اليه بقدم

الحرص لاختبر منه رقاعة اهل حمص فبش لي حين وافيته وحيي باحسن مما حييته فجلست

اليه لابلو جنى نطقه واكتنه كنه حمقه فما لبث ان اشار بعصيته الى اكبر صبيته

وقال له انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

أَعْدِدْ لِحُسّادِكَ حَدَّ السِّلاحْ　　وَأَوْرِدِ الآمِلَ وِرْدَ السَّماحْ

وَصارِمِ اللَّهْوَ وَوَصْلَ المَها　　وَأَعْمِلِ الكُومَ وَسُمْرَ الرِّماحْ

وَاسْعَ لِإِدْراكِ مَحَلٍّ سَما　　عِمادُهُ لا لِادِّراعِ المِراحْ

وَاللهِ ما السُّؤْدُدُ حَسْوُ الطِّلا　　وَلا مُرادُ الحَمْدِ رَوْدٌ رَداحْ

وَاهاً لِحُرٍّ صَدْرُهُ واسِعٌ　　وَهَمُّهُ ما سَرَّ أَهْلَ الصَّلاحْ

مَوْرِدُهُ حُلْوٌ لِسُؤّالِهِ　　وَمالُهُ ما سَأَلُوهُ مُطاحْ

ما أَسْمَعَ الآمِلَ رَدّاً وَلا　　ماطَلَهُ وَالمَطْلُ لُؤْمٌ صُراحْ

وَلا أَطاعَ اللَّهْوَ لَمّا دَعا　　وَلا كَسا راحاً لَهُ كَأْسَ راحْ

سَوَّدَهُ إِصْلاحُهُ سِرَّهُ　　وَرَدْعُهُ أَهْواءَهُ وَالطِّماحْ

وَحَصَّلَ المَدْحَ لَهُ عِلْمُهُ　　ما مَهْرُ العُورِ مُهُورَ الصِّحاحْ

فَقالَ لَهُ أَحْسَنْتَ يا بُدَيْرُ يا دُرَّ الدَّيْرِ ثُمَّ قالَ لِلتّالي لَعَلَّهُ المُتَنَبِّهُ بِصِنْوِهِ ادْنُ يا نُوَيْرَةُ

يا قمر الدويرة فزنا وما تباطا حتى حل منه مقعد المعاطا فقال له أجل

الأبيات العرائس وإن لم تكن نفائس فبرى وقط ثم احتجر اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني ... بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض ... غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزينتين فشفتني ... بزي يشف بين تثني

تنطنيت تجتبيني فتجزيني ... بنفث يشوق فخيب ظني

ثبتت في غش جيب بتزيين ... حبيب يبغي تشفي ضغن

فنزت في تجنبي فتنتني ... بنشيج يشجي بفن ففن

فلما نظر الشيخ إلى ما حبره وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا كما بورك

في لا ولا ثم هتف اقرب يا قطرب فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية أو تمثال

دمية فقال له ارقم الأبيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

أسمح فبث السماح زين ... ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال ... فنن أم في السؤال خفف

واحلم فجفن الكرام يغضي ... وصدرهم في العطاء تقنف

ولا تخن عهد ذي وداد ... تثبت ولا تتبع ما تزيف

ولا تظن الدهور تبقي ... مال ضنين ولو تقشف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم يا عطر منشم فلباه غلام كدرة غواص أو جؤذر قناص فقال له اسطر الأبيات المتآيم ولا تكن من المشائيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينت زينب بقد يقد ... وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ... ناعس ناعش بحد يحد

قدرها قدرها وباهت وتاهت ... واعتدت واغتدت تصحن يخد

فارقتني

فارقتني فارقتني وشطت وسطت ثم ثم وخدت وخدت

فرنت فرنت وحنت وحنت مغضبا مغضبا بود بود

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح

ضبطه قال له لا شل عشرك ولا استخبث نشرك ثم أهاب بفتى فتان يسفر

عن أزهار بستان فقال له أنشد البيتين للطرفين المشتبهي الطرفين الذين أسكنا

كل نافث وأمنا أن يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وأنشد

من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السودد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول يا أبا الغلول ثم نادى أوضح يا مليح ما يشكل من ذوات التجنيس

فنهض ولم يتأن وأنشد بصوت أغن

نقش الدواة وسع الكف مثبتة بيتاهما إن هما خطا وإن درسا

وهكذا السين في قسب وباسقة ... والسخر والبخس واقسر واقتبس قبسا

وفي نقست بالليل الكلام وفي ... مسيطر وشموس واتخذ جرسا

وفي قريس وبرس قارس فخذ ... الصواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال قم يا عنبسة وبين

الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثم انشد من غير عثار

بالصاد تكتب قد قبصت دراهما ... بأناملي واصخ لتستمع الخبر

وبصقت أبصق والصماخ وصبحة ... والقص وهو الصدر واقتص الأثر

وبخصت مقلته وهذي فرصة ... وقد أرعدت منه الفريصة للخور

وقصرت هذا اي حبست وقد دنا ... فصح النصارى وهو عيد منتظر

وقرصته والخمر قارصة اذا ... حذت اللسان وكل ذلك مستطر

فقال له رضيا لك يا ابا قلمون اقر ضغيني ثم استنهض ذا جثة كالبيذق ونغشة

كالسَّوزق وأمره أن يقف بالمرصاد ويسرد ما يجري على السين والصاد فنهض

يسحب برديه ثم أنشد مشيراً بيديه

إن شئت بالسين فاكتب ما أبيّنه ... وإن تشا فهو بالصادات يكتتب

مغص وفقص ومسطار ومصلس ... وسالغ وسراط الحق والسقب

فقال له أحسنت يا حبيقة يا عين بقة ثم نادى يا أذغفل يا أبا زنفل فلباه

فتى أحسن من بيضة في روضة فقال له ما عقد هجاء الأفعال التي آخرها حرف

اعتلال فقال له اسمع لا صمّ صداك ولا سمعت صداك ثم أنشد وما استرشد

إذا الفعل يوماً غمّ عنك هجاؤه ... فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فإن تر قبل التاء ياءً فكتبه ... بياء وإلا فهو يكتب بالألف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي ... تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه وعوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا بارقة البقاع

نعم العرب الذي تصغر النفس خرنفش بالحاء غير معجمة وبالخاء والعجمة

فأقبل فتى أحسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصديع أكباد الأضداد فاهتز لقوله واهتش ثم أنشد بصوت أجش

أيها السائلي عن الضاد والظا ... لكي لا تضله الألفاظ

إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها ... استماع امرئ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والإظلام ... والظلم والظبى واللحاظ

والعظاء والظليم والظبي والشيظم ... والظل واللظى والشواظ

والتظني واللفظ والنظم والتقريظ ... والقيظ والظما واللماظ

والحظى والنظير والظئر والجاحظ ... والناظرون والأيقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب ... والظهر والشظا والشظاظ

والأظافير والمظفر والمحظور ... والحافظون والإحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة ... والكاظمون والمغتاظ

والوظيفات والمواظب والكظة والانتظار والالظاظ

ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والاغلاظ

ونظيف والظرف والظالف الظاهر ثم الفظيع والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والاوشاظ

وظراب الظران والشظف الباهظ والجعظري والجواظ

والظرابين والحناظب والعنظب ثم الظيان والارعاظ

والشناظي والدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان والجعاظ

والشناظير والتعاظل والعظلم والبظر بعد والانعاظ

هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو اثارك الحفاظ

واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ وقاظوا

فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك ولا برمن يجفوك فوالله انك لمع الصبي

قال مراجعه لابد من الحنبة الجواظ والا الجعظري قال والجواظ الفظ الغليظ

الغيض لا احفظ من الارض واجمع من يوم العرض ولقد اوردتك ورقفتك زلالي

وثقفتكم تثقيف العوالي فاذكروني إذ كرمتم واشكروا لي ولا تكفرون قال

الحرث بن همام فعجبت لما ابداه من براعة معجونة برقاعة واظهر من

حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل طرفي يصعد فيه ويصوب وينقر عنه وينقب

وهو كمن ينظر في ظلماء او يسري في بهماء فلما استراث تنبهي واستبان تدلهي

حملق الحملقة وتبسم وقال أبنو توم يتوسم فبهت لفحوى كلامه ووجدته

ابا زيد عند ابتسامه واخذت الومه على تدبيره بقحة النوكى وتخير

حرفة الحمقى فكان وجهه اسف رمادا او اشرب سوادا الا انه انشد وما
تمادى

تخيرت حمقا وهذي الصناعة لارزق حظوة اهل الرقاعة

فما يحظى الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال الا بقاعه

ولا لاخي اللب من دهره سوى ما لعير ربيط بقاعه

ثم قال لها ان التعليم اشرف صناعة واربح بضاعة وافضل براعة وانجح
شفاعة وربه ذو امرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر
تسيطر امير ويترتب ترتب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه بذي ملك
كبير لولا انه يخرف في امد يسير ويتسم بحمق شهير وينقلب بعقل صغير
ولا ينبئك مثل خبير فقلت له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام
والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام ثم لم ازل معتكفا بناديه
ومغترفا من سيل واديه الى ان غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر
ففارقته ولعيني العبر

المقامة السابعة والاربعون الحجرية

حكى الحرث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة فارشدت الى
شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي لاحضاره وارصدت
نفسي لانتظاره فابطأ بعد ما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب طبقا عن

ثم عاد عود الخفوق مسعاه الكلّ على مولاه فقلت له أبطء فند وصلود

زند فزعم أن الشيخ اشتغل من ذات النحيف وفي حرب لحرب حنين

فعفت المشي إلى الحجام وحرت بين إقدام وإحجام ثم رأيت أن لا

تعنيف على من يأتي الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه رأيت

شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة أطواق و

من الزحام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة

والشيخ يقول له أراك قد أبرزت راسك قبل أن تبرز قرطاسك ولست

قد ذلك ولم تقل في ذلك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين

فإن أنت رضخت بالعين حجمت في الأخدعين وإن كنت ترى الشح أولى و

خزن الفلس في النفس أحلى فاقرأ عبس وتولى واغرب عني وإلا فقال الفتى والذي

حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين إني لأفلس من ابن يومين فشو بسيل

تلعق

گه

تلعثمي وانظرني لم تسعفني فقال الشيخ ويحك إن مثل الوعود كخرز العود هو بين أن يدرك
العطب أو يدرك منه الرطب فما يدريني أحصل من عودك جنى أم أحصل منه
على ضنى ثم ما الثقة بأنك حيث تبتعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالحجيل في
حلية هذا الجيل فأرحني بالبت من التعذيب وارحل الحيث يعوي الذيب
فاستوى الغلام إليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالوعد غير
الخسيس الوغد ولا يرد غدير الغدر إلا الوضيع القدر ولو عرفت من أنا لما أسمعتني
الخنا لكنك جهلت فقلت وحيث وجب أن تسجد بلت وما أقبح الخرق والإقلال
وأحسن قول من قال

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت

لكنه ما يشين الحر موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما أصلي الياقوت جمر غضا ... ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال الشيخ يا ويلة أبيك وعولة أهليك أأنت في موقف فخر يظهر وحسب

يهم ام موقف جليدي نكشط وقفا يشرط وهبك كما ادعيت وسلم ان لك البيت
ايحصل بذلك جحيم عذابك لا والله ولو ان اباك اناف على عبد مناف او لخالك
دان عبد الدار فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست له بواجد
وباهي اذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك لا باصولك وبصفاتك
لا برفاتك وباعلاقك لا باعراقك وبنشبك لا بنسبك ولا تطع الطمع
فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بني استقم فالعود تنمى عروقه   قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى   اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق   الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى   على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا   زمان ومن ينوي اذا ما التوى نوى

واذن

فقال وإن تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ · إذا اعتلقت أظفاره بالشوى شوى

وإياك والشكوى فلم تر ذا نهى · شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة أنف في السماء واست

في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط

وغيظ مستشيط وقال أف لك من صواغ باللسان رواغ عن الإحسان

تأمر بالبر وتعق عقوق الهرات يكن سبب تعنيتك نفاق صنعتك فرماها

الله بالكساد وأفسد الحساد حتى ترى أفرغ من حجام ساباط وأضيق

رزقا من سم خياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم

حتى تلجأ إلى حجام عظيم الاشتطاط ثقيل الاشتراط كليل المشراط كثير المخاط

والضراط قال فلما تبين الفتى أنه ينكو إلى غير مصمت ويرا الاستفتاح بابا

مضمت أضرب عن رجع الكلام واحتفز للقيام وعلم الشيخ أنه قد ألام بما

ب

أسمع الغلام فجنح الى سلمه وبذل ان يذعن لحكمه ولا يبغي اجرا على حجمه

وابى الغلام الا التشزّر بدائه والهرب من لقائه وفاز الا في حجاج وسباب

ولزاز وجذاب الى ان ضجّ الفتى من الشقاق وتلا ردّا به سورة الانشقاق

فاعول حينئذ ابو زيد لفرط ضرّه وانعطاط عرضه وطمره واخذ الشيخ يعتذر

من فرطاته ويتغيّض من عبراته وهو لا يصغي الى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره

الى ان قال له فداك عمك وعداك ما يغمك اما تسلم الاغوال اما تعرف الاحتمال اما تسمع

بمن اقال واخذ بقول من قال

احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه من نار غيظك واصفح ان جنى جاني

فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به والاخذ بالعفو احلى ما جنى جاني

فقال له الغلام اما انك لو ظهرت على عيبتي المنكر لعذرتني في دمعي المنهمر ولكن

هان على الاملس ما لاقى الدبر كانه نزع الى الاستحياء فاقلع عن البكاء وفاء

الى الارعواء وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت فارفع ما اوهيت فقال

هيهات

هيهات شغلت شعابي جدواي فثمّ بارقاً سواي ثم انه نهض يستقري

الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف

أقسم بالبيت العتيق الذي تهوي اليه الزمر المحرمه لو ان عندي قوت يوم لما

مدّت يدي للمشراط والمحجمه ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته مه محجمه

ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو الى المجد بهذي السمه لكن صروف الدهر غادرنني

كخابط في الليلة المظلمه واضطرني الفقر الى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه

فهل فتى تدركه رقة عليّ او تعطفه مرحمه قال الحرث بن همام فكنت

اول من اوى لبلواه ورق لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان

ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفال بها الغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه و

تنثال لديه حتى لاذ بعيشة خضراء وحقيبة بجراء فارزهاه الفرح

عند ذلك وهش نفسه هنالك وقال للغلام هذا ربيع انت بذره وحلب

لك شطره فلم ينقسم ولا تجشم فتقاسماه بينهما شق الأبلمة ونهضا متفقي
الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له قد تبوغ
دمي ونقلت إليك قدمي فهل لك أن تجمني وتكفكف ما دهمني فصوب
طرفه في وصعد ثم ازدلف إلي وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي وما جرى بيني وبين سخلي حتى انثنيت فائزا بالخصل
أرعى رياض الخصب بعد المحل بالنثر يا بهجة قلبي قل لي هل أبصرت عيناك قط
يفتح بالرقية كل قفل ويستبي بالسحر كل عقل ويحجب الجد بماء الهزل
إن يكن الإسكندري قبلي فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل

قال فنبهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار إليه فقرعته على الابتذال
والالتحاق بالأرذال فأعرض عما سمع ولم يبال بما قرع وقال كل الجزاء
يحتذي الحافي الوقع ثم قاصاني مقاصاة المهان وانطلقنا كفرسي رهان

المقامة ٨

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

روى الحرث بن همام عن ابي زيد السروجي انه قال ما زلت مذ رحلت عنسي

وارتحلت عن عرسي وغرسي احن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى

النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب الرواية من خصائص

معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله تعالى ان يوطئني

ثراها لافوز بمرآها وان يعطيني قراها لاقتري قراها فلما احلنيها الحظ و

سرح لي فيها اللحظ رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب

فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر

بالنوام لاخطو في خططها واقضي الوطر من توسطها فاداني الاختراق

في مسالكها والانصلات في سككها الى محلة موسومة بالاحترام منسوبة

الى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان

ومغان انيقة وخصائص اثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا ... وجيران تنافوا في المعاني

فمشغوف بآيات المثاني ... ومفتون برنات المثاني

ومضطلع بتلخيص المعاني ... ومطلع إلى تخليص عاني

وكم من قارئ فيها وقار ... أضر بالجفون وبالجفان

وكم من معلم للعلم فيها ... وناد للندى حلو المجاني

ومغنى لا تزال تغن فيه ... أغاريد الغواني والأغاني

فصل إن شئت فيها من يصلي ... وإما شئت فادن من الدنان

ودونك صحبة الأكياس فيها ... أو الكاسات منطلق العنان

قال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها إذ لحت عند دلوك براح وانطلاق الرواح مسجدا مشتهرا بلطائفه مزدهرا بطوائفه وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت نحوهم لا لأستمطر نوءهم بل لأقتبس نحوهم

فمن

فلم يك إلا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين
بروز الإمام فانحسرت ظبى الكلام وحلت الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت
عن استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضي الفرض وكاد الجمع
ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن
وفصاحة الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتي و
جعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي وأعددتهم لحضرتي وغيبتي
أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى للابس الفاخرة وأن فضوح الدنيا أهون
من فضوح الآخرة وأن الدين إمحاض النصيحة والإرشاد عنوان العقيدة
الصحيحة وأن المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وأن أخاك هو الذي
عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك فقال له
الحاضرون أيها الخل الودود والخدن المودود ما سر كلامك الملغز وما

شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منا لينجز ولو أعجز فو الذي حبانا بمحبتك

وجعلنا من صفوة أحبتك ما نألوك نصحاً ولا ندخر عنك نضحاً فقال

جزيتم خيراً ووقيتم ضيراً فإنكم من لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس

ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ما حاك في صدري

واستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا أني كنت عند صلود الزند وصدود

الجد أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على أن لا أسبأ

مداماً ولا أعاقر ندامى ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة فسولت لي النفس المضلة

والشهوة المزلة أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار

وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة كالميت ثم

لم أقنع بما أتيتم المرة في طاعة أبي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس

وبت صريع الصهباء في الليلة الغراء وها أنا بادي الكآبة لرفض الإنابة نادم

الندامة

بالندامة لو صح الندامة شر بين الإشفاق من نقض الميثاق معترف بالإسراف
في غب السلاف فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعدني من ذنبي وتدنيني إلى ربي

قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه
ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وأيد فنهضت
من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت

أيها الأروع الذي فاق مجدا وسؤددا والذي يبتغي الرشاد ليمحو به غدا
إن عندي علاج ما بت منه مسهدا هو تفريج غمة غادرتني ملددا
فاستمع قصتي ومد إلى نصرتي يدا أنا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا مربعي مألف الضيوف ومالي لهم سدى
أشتري الحمد باللهى وأقي العرض بالجدا لا أبالي بمنفس طاح في البذل والندى
أوقد النار باليفاع إذا النكس أخمدا ويراني المؤملون ملاذا ومقصدا

لم يشم بارقي قاصد فانثنى يشتكي الصدا   لا ولا رام قابس قدح زندي فاصلدا

طالما ساعد الزمان فاضحى مسعدا   فقضى الله ان يغير ما كان عودا

بوأ الروم ارضنا بعد ضعف تولدا   فاستباحوا حريم من ساد فوق موحدا

وحووا كل ما استنشر بها لي وما بدا   فتطوحت في البلاد طريدا طريحا مشردا

اجترى الناس بعد ما كنت من قبل انجدا   وترى في خصاصة اتمنى لها الردى

والبلاء الذي يشمل النسى تبددا   استباء ابنتي التي اسروها لتفتدا

فاستبن محنتي التي جاوزت غاية المدا   واجرني من الزمان فقد جاز واعتدا

واعنني على فكاك ابنتي من يد العدا   فبذا تمحي المآثم عمن تمردا

وبه تقبل الانابة ممن تزهدا   وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدا

ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا   فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدا

واسمح الان بالذي تستحق لتحمدا

قال ابو زيد فلما اتممت هذه رمتي واوهم المسئول صدق كلمتي اغراه

القوم الى الكرم بمواساتي ورغبه الكلف بحمل الكلف في مقاساتي فرضخ لي

على الحافرة ونفح لي بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري

قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حوك

القصيدة الى لوك العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من

ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك ثم انشد غير متلبك

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشه وادر قناة المكر حتى تستدير رحا المعيشه

وصد النسور فان تعذر صيدها فاقنع بريشه

واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه

وارح فوادك ان نبا دهر من الفكر المطيشه

فتغاير الاحداث يوذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والاربعون الساسانية

حكى الحرث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم
النهضة احضر ابنه بعدما استجاش ذهنه وقال له يا بني انه قد دنا ارتحالي
من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وانت بحمد الله ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية
من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد ندب
الى الاذكار وجعل صيقلا للافكار واني موصيك بما لم يوص به شيث الانباط
ولا يعقوب الاسباط فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي
واقفه امتثالي فانك ان استنصحت بنصحي واستصبحت بصبحي طاب معاشك
وطال انتعاشك وامرع خانك وارتفع دخانك وان تناسيت سورتي ونبذت
مشورتي قل رماد اثافيك وزهد اهلك ورهطك فيك يا بني اني جربت حقائق
الامور وبلوت تصاريف الدهور فرايت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه

لاعن حسبه وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة
فمارست هذه الاربع لانظر ايها اوفق وانفع فما احمدت منها معيشة ولا استر غدت
فيها عيشة اما فرص الولايات وخلس الامارات فكاضغاث الاحلام والفى
المنتسخ بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام واما بضايع التجارات فعرضة
للمخاطرات وطعمة للغارات وما اشبهها بالطيور الطيارات واما اتخاذ الضيا ع
والتصدي للازدراع فمنهكة للاعراض وقيود عايقة عن الارتكاض وقلما خلا ربها
من اذلال او رزق روح بال واما حرف اولي الصناعات فغير فاضلة عن الاقوا ت
ولا نافقة في جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة ولم ار ما هو
بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب صافي المشرب الا الحرفة التي وضع ساسان اسا سها
ونوع اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني غبراء منارها فشهدت
وقايعها معلما واخترت سيماها لي ميسما اذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي

لا ينوّر والمصباح الذي يعشو اليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكانت

أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم من حيف ولا يقلقهم غرار سيف ولا يخشون

حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد ولا يحفلون

بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غرّ محجلة

أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا

ولا يمتازون عمّا تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له يا أبه لقد صدقت فيما

نطقت ولكنك قنّقت وما رتقت فبيّن لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف

فقال له يا بنيّ إن الارتكاض بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة

سلاحها فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب وأنشط من ظبي مقمر وأسلط

من ذيب مضمر واقدح زند جدّك بجدّك واقرع باب رزقك بسعيك وجب

كل فج وخض كل لج وانتجع كل روض وألق دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا

تمل

ثم التراب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال

واياك والكسل فانه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة ولقاح

المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من

اختار الكسل ولا ملا الراحة من استوطا الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضر غام

فان جراة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك الحظوة وتملك

الثروة كما ان الخور صنو الكسل وسبب الفشل ومطاة للعمل وخيبة للامل و

لهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن هاب خاب ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر وجراة

ابي الحرث وحزامة ابي قرة وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثاب

ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب وتلطف ابي غزوان واخلب بصوغ اللسان و

اخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل

الركبان قبل النجعة ومهد لجنبك قبل الضجعة واتخذ بصيرتك للعيافة

وانعم نظرك في القيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه ومن اخطات
فراسته ابطات فريسته وكن يا بني خفيف الكل قليل الدل راغبا عن العلل
قانعا من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد
ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيئسوا من روح الله انه لا ييئس من روح الله الا القوم
الكافرون واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل
اليوم على الغد فان للتاخير افات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين
النجز عقبات وعليك بصبر اولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب خرق المشتط
وتخلق بخلق المتبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلد او نابك فيه نكد فبت
منه املك واسرع عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة ولا
تنكرهن النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا اجمعوا على ان الحركة

بركة

بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم ان الغربة كربة والنقلة مثلة

وقالوا هي تعلة من اقتنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت

الاغتراب واعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المساعد من قبل ان تصعد

فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق   خذها اليك وصية لم يوص بها قبلي احد

غراء حاوية خلاصات المعاني والزبد   نحتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد

فاعمل بامثلتها عمل اللبيب اخي الرشد   حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت واستقصيت فان اقتديت فواها لك وان اعتديت

فآها منك والله خليفتي عليك وارجو ان لا يخلف ظني فيك فقال له ابنه

يا ابت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدادا وعلمت رشدا وبنيت

لي سوددا ونحلت ما لم ينحل والد ولدا ولئن امهلت بعدك ولا ذقت فقدك

فلا تلدين باداتك الصالحة ولاقتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما اشبه

بيت

الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من
اشبه اباه فما ظلم قال الحرث بن همام فاخبرت ان بني ساسان حين سمعوا اهله
الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ ام القران
حتى انهم ليرونها الان اولى ما لقنوه الصبيان وانفع لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون البصرية

حكى الحرث بن همام قال شعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره ولاح على شعاره
وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء ما بي
من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك ماهول المساند مشفوه
الموارد يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت
اليه غير وان ولا لاو على شان فلما اوطئت حصاه واستشرفت اقصاه تراءى
لي ذو اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم

ولا

ولا ينادى دونهم فاستترت قصده وتوريت وروده وجوبت ابا احد شطاطه
عنده ولم ازل اتنقل في المراكز واغشى الاكابر والاكابر الى ان حصلت تجاهه وبحثت
امتنت اشتباهه فاذا هو شيخ المشرق وحجة لا يرتاب فيه والامر بخفيه فمن ى
عرف جهله وفضت كتبه ثم وحيث ان الحسن البصري كان قال يا اهل البصرة رحمكم
الله وقد قالكم وقوى تعلمكم فالصوم ريالكم وافضل مزاياكم بلدكم او في البلاد طهرا
وازكاها قطوة وافسحها رقعة وازرعها نجعة واقومها قبلة واوسعها دجلة
واكثرها نهرا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البيت الحرام وقبالة
وقبالة الباب والمقام واحد جناحي الدنيا والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس نس
ببيوت النيران ولا طيف فيه بالاوثان ولا سجد على اديمه لغير الرحمن ذو المشا هد
المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم المشهودة والمقابر المزورة والاثار
المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك والركاب والحيتان والضباب

والحادي والماحي والقابض والفاتح والعاقب والراضح والسارح والساجع ولهذه
آية المد الفائض والجزر الغائض وأنتم من لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا
ينكرها ذو شأن دهاة أم أطوع رعية لسلطان وأشكرهم للإحسان وأزهدكم
أورع الخليقة وأفصحهم طريقة على الحقيقة وما لكم على أمة تكثر زمان والجمعة في كل
أوان ومنكم من لا تنبعث النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر ووضعه
وما من فخر إلا ولكم فيه اليد الطولى وأنتم أحق به وأولى ثم إنكم أكثر أهل مصر ودنيا
وأحسنهم في النسك تواتب وبكم اقتدي في التعريف وعرف التجمير في الشهر الشريف
ولكم إذا قرت المضاجع وهجع الهاجع تهجد يوقظ النائم ويؤنس القائم وما
ابتسم ثغر فجر وابتدع نوره في برد واحمر الأولياء إذ بينكم دوي في الأسحار كدوي النحل
في البكار وبهذا عنكم صدع النقل وأخبر النبي عليه السلام من قبل وبين أن
دويكم في الأسحار كدوي النحل في القفار فبشرى لكم ببشارة المصطفى وواها لمصركم

واذ

وإن كان قد عفا ولم يبق منه إلا الشفا ثم إنه خزن لسانه وخطم بيانه حتى
حرج بالإبصار وفرق بالاستبصار فسفر تسفير محضر لقود أوضنيت
به برأت أسد ثم قال يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن
له المعرفة والمعروف وأما أنا فمن عرفني فلكن كشف مخبر المعارف من أذاك
ومن لم يعرفني فساصدقه صفتي أنا الذي أنجد وأتهم وأيمن وأشأم
وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت
المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك ولنت العرائك واقتدت الشوا
وأرغمت المعاطس وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد سلوا عن المشارق
والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحوا
من نقلة الأخبار ورواة الأسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم
فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت وكم ألباب خدعت

وبِدَعٍ ابتدعتُ وفروضٍ أضعتُ وأُسدٍ فرستُ وكم محالٍ لفّقتُه ولغوٍ وكامنٍ

استخرجتُه بالرُّقى وحجرٍ بصرتُه حتى تصدّع واستقطعتُ زُلالَه بالخدع

ولكن فرطَ ما فرط والغصنُ رطيب والفَودُ غِربيب وبُردُ الشباب قشيب

فأما الآن وقد استحشف الأديم وتأوّد القويم واستنار الليلُ البهيم فليس إلا الندم

إن نفع وترقيعُ الخرق الذي قد اتّسع وكنتُ رُويتُ في الآثار المسندة والأخبار

المعتمدة أنّ لكم من ربكم في كل يومٍ نظرةً وأنّ [illegible]

الأدعية والتوحيد فقصدتُكم أُنضي الرواحل وأطوي المراحل حتى قمتُ هذا

المقام فيكم ولا منّةَ لي عليكم إذ ما سعيتُ إلا في حاجتي ولا تعبتُ إلا لراحتي

ولستُ أبغي أُعطيتَكم بل استدعاءَ أدعيتِكم ولا أسألُكم أموالَكم بل استنزالَ سؤالِكم

فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والإعداد للمآب فإنه رفيعُ الدرجات

مجيبُ الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ثم أنشد

استغفر

استغفر الله من ذنوبٍ افرطت فيهن واعتديت كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت

وكم اطعت الهوى اغترارا واحتلت واختلت وافتريت وكم خلعت العذار ركضا الى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطي الى الخطايا وما انتهيت فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم اجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت يا رب عفوا فانت اهل للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه في السماء الى

ان دمعت اجفانه وبدا رجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة

وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم يا اهل البصرة جزاء من هدي من الحيرة

فلم يبق في القوم الا من سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برهم واقبل

يطنب في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ البصرة واعتقبته الى حيث

خالينا وامنا التجسس والتحسس علينا فقلت له لقد اغربت في هذه النوبة

فما رايك في التوبة فقال اقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيئات ان شاني لعجاب

وإن دعا قومك المجاب فقلت زدني إفصاحا زادك الله صلاحا فقال والله

لقد قمت فيهم مقام المريب الفادح ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع

فطوبى لمن صحت قلوبهم إليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني وانطلق

وأودعني القلق فلم أزل أعاني لأجله الفكر وأتشوق إلى سبر اختبار ما ذكر

وكلما استنبيت خبره من الركبان وجوابة البلدان كنت كمن جاور عجماء أو

نادى صخرة صماء إلى أن لقيت بعد تراخي الأمد وتراقي الكمد ركبا قافلين

من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا إن عندنا لخبرا أغرب من العنقاء

وأعجب من نظرة الزرقاء فسألتهم إيضاح ما قالوا وأن يكيلوا لي كما اكتالوا

فحكوا أنهم ألموا بسروج بعدما فارقها العلوج فرأوا أبا زيدها المعروف قد

لبس الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت أتعنون

ذا المقامات فقالوا إنه الآن ذو الكرامات فحفزني إليه النزاع ورأيتها فرصة

لا تضاع فارتحلت برحلة المعذر وزن نحوه سير المجد حتى حللت
بمسجده وقراره متعبده فاذا هو ذو عباءة محلولة وشملة موصولة وقد
انفرد عن اصحابه وانتصب في محرابه فهبته مهابة من ولج على الاسود
والقيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود ولما فرغ من سبحته
حياني عن سبحته من غير ان نعم معي بحديث ولا استخبرني عن قديم ولا
حديث ثم اقبل على اوراده وتركني اعجب من اجتهاده واغبط من يهدي
الله من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع
الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم امس فجنح الى انكفاء الى الخبية واستهمنى
من قرصه وزيته ثم نهض الى الصلاة وتخلى بمناجاة مولاه حتى اذا
التمع الفجر حتى للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع
ضجعة المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادكار الاربع والمعهد المرتبع والظاعن المودع وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا سودت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا على القبيح الشنع

كم ليلة اودعتها مآثما ابدعتها لشهوة اطعتها في مرقد ومضجع

وكم خطا حثثتها في خزية احدثتها وتوبة نكثتها لملعب ومرتع

وكم تجرأت على رب السموات العلى ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعي

وكم غمطت بره وكم امنت مكره وكم نبذت امره نبذ الحذا المرقع

وكم ركضت في اللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراع ما يجب من عهده المتبع

فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع

الام تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع

اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص وطاوعي واخلصي واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضا وحاذري أن تخدعي

وانتهجي سبل الهدى واذكري وشك الردى فان مثواك غدا في قعر لحد بلقع

آهاً له بيت البلى والمنزل القفر الخلا ومورد السفر الاولى واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه بعد الفضاء والسعة قيد ثلاث اذرع

لا فرق ان يحله داهية او ابله او معسر او من له ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي يحوي الحيي والبذي والمبتدي والمحتذي ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي وربح عبد قد وقي سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى وشب نيران الوغى لمطعم او مطمع

يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل لما اجترحت من زلل في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي

قال ثم لم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء
عينيه كما كنت من قبل أبكي عليه ثم برز إلى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت
ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر
بغير أخذ يهيم بردنيه ويمسك يومه في قالب أمسه وفي ضمن ذلك
يرن أرنان الرقوب ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت أنه قد التحق بالأفراد
وأشرب قلبه هوى الانفراد فخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته والتخلي
بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت فزفر زفرة الأواه
ثم قرأ فإذا عزمت فتوكل على الله فاستجليت عند ذلك بصدق المحدثين وأيقنت
أن في الأمة لمحدثين ثم دنوت إليه كما يدنو المصافح وقلت له أوصني أيها
العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينيك وهذا فراق بيني وبينك فودعته
وعبراتي تتحدر من المآقي وزفراتي تتصعد من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي

قال

قال القسم بن علي الحريري رحمه الله هذا اخر المقامات التي انشاتها
بالاغترار وامليتها بلسان الاضطرار وقد الجيت الى ان ارصدتها
للاستعراض وناديت عليها في سوق الاعتراض هذا مع معرفتي بانها من
سقط المتاع ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور
التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي لم يزل مستورا
ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعـ مما اودعتها
من اباطيل اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو
ويحظي بالعفو انه اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والاخرة

رسالة سينية انشاها الشيخ الرئيس القسم بن علي الحريري رضي الله تعالى عنه .

باسم القدوس استفتح وباسعاده استنجح سيرة سيدنا الاسفهسلار الرئيس السيد
النفيس سيد الروساء سيف السلطان حرست نفسه واستنارت شمسه وبسق غرسه
واتسق انسه استمالة الجليس ومساهمة الانيس ومساعدة الكسير والسليب ومواساة
السحيق والنسيب والسيادة تستدعي استدامة السنن واستحفاظ الرسم الحسن
وسمعت بالامس تدارس الالسن سلاسة خندريسه وسلسال كووسه ومجالس
مجلس مسرته واحسان مسمعة ستارته فاستسلفت التسراء وتوسمت الاستدعا
وسوفت نفسي بالاحتسا واستسهال مؤانسة الجلساء وجلست لتستقري السبل و
استطلع الرسل واستبعدت تناسي اسمي والتسام الوسواس لاستحالة رسمي
وسيف السلاطين مستاثر بانس السماع وحسو الكووس
سلاني ولبس لباس السلو يناسب حسن سجية النفيس

ومن حسودي بغض الرسوم واسوى التجايا تنائي الجليس

واسكر من حسرة واستعاض لقسوته سكرة الخندريس

وساقي الحسام بكاس الكلاف واسهمني بعبوس وبوس

ساكسوه لبسة مستعتب والبس سربال سال يووس

واسطر سيئاته سيرة تسير اساطيرها كالبسوس

وله رسالة شينية وهي بابشار المنشي انشى شغفي بالشيخ شمر الشعراء ريش

معاشه وفشا رياشه واشرق شهابه واعشوشب شعابه يشاكل شغف المنتشي

بالنشوة والمرتشي بالرشوة والشاذب بشرخ الشباب والنشوان بشم الشراب

وشكري لتجشمه ومشقته وشواهد شفقته يشاكه شكر الناشد للمنشد

والمسترشد للمرشد والمستشعر للمبشر والمستجيش للجيش المشمر وشعاري انشاد

شعره وانشاء الكاشر والكاشح بنشره وشغلي اشاعته وشايعه وتشييد

وحسبنا الله ونعم ... واله وسلم

شوافعه والإشادة بشذوره وشنوفه والمشورة بتشفيعه وتشريفه وأشهر شهر

المشيع الكاشف والمفش المكاشف لانشاده يدهش الشايب والناشي ويلاشي شعر

الناشي ولمشافهته تباشير الرشد واشتيار الشهد ولمشاحنته تشقى

المشاحن وتنشر المشاين ولمشاغبته تشظى الاشطان فشرقا للشيخ

شرفا وشغفا بشنشنته شغفا

ونشط الشيطان

فاشعاره مشهورة ومشاعره وعشرته مشكورة وعشايره

تشأى الشعراء المشمعلين شعره فشانيه مشجو الحشى ومشاعره

وشوه ترقش المرقش رقشه فاشياعه يشكونه ومعاشره

وشاق الشباب الشم والشيب وشيه فمنشوره بشرى الشوف ناشره

شمايله معشوقة كشموله وشربه مستبشر ومعاشره

شكور ومشكور وحشو مشاشه شهامة شمير بطيش مشاجره

شقاشقه

شقاشقه مخشية وشباته شبا مشرفي جاش بالشر شاهره

شغفي بالاناشيد النشاوى وشقهم فشقيه مستشف وشاكيه شاكره

ويشدوا فيهتش الشجي لشدوه ويشغفه انشاده فيشاطره

تجشم غشياني فشرد وحشتي وبشر ممشاه ببشر اباشره

سانشره شعرا تشرق شمسه واشكره شكرا تشيع تشايره

واشهر شاهر الاشياء ومشبع الاحشاء يشعل شواظ اشتياقي

شحطه وليشعبت شمل نشاطي نشطه فناشدت الشيخ ايشعر باستيحاشي

لشسوعه واجهاشي لتشييعه ووشايتي بنشيده الموشى وتشكي

شخصه بالاشراق والعشي حاشاه حاشاه تغشيه شبهة وتغشاه

فليستشف شرح شجوني لشطونه ومشاركي لشجونه واشتغالي بتمشية

شؤونه ليشرح جاشي ويشارف انكماشي عاشر منتعش الحشاشة مستشري

البشاشة مشحوذ الشفار منتشر الشرار شتاما للاشرار شحانا بالاشعار يشرخ

ويحوش ويفتش المنقوش بخشية الشديد البطش الناش العرش وتشريفه لبشير

